مصادر التمويل المالي للمؤسسات التربوية والتعليمية في مصر خلال الفترة (٥٦٧ – ٦٤٨ هـ / ١١٧١ – ١٢٥٠ م)

م.م. يسرى عودة علوان

جامعة ميسان / كلية التربية

الملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مصادر التمويل المالي للمؤسسات التربوية والتعليمية في مصر خلال الفترة(٥٦٧ – ٦٤٨ هـ / ١١٧١ – ١٢٥٠ م) واقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها على ثلاثة نقاط سبقت بمقدمة وانتهت بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليه الدراسة،فجاء في النقطة الأولى بعنوان المؤسسات التربوية والتعليمة في مصر خلال العصر الأيوبي،ودرسنا في النقطة الثانية محفزات التربية والتعليم في مصر ،وتطرقنا في النقطة الثالثة مصادر التمويل المالي المؤسسات التربوية والتعليمية في مصر وكيفية الإنفاق عليها .

Sources of financial funding for educational and educational institutions in Egypt during the period (567 - 648 AH / 1171 - 1250 AD)

Abstract :

This study aims to reveal the sources of financial funding for educational and educational institutions in Egypt during the period (567-648 AH / 1171-1250 AD). Entitled Educational Institutions in Egypt during the Ayyubid Era. In the second point, we studied the incentives for education in Egypt. In the third point, we touched on the sources of financial funding for educational and educational institutions in Egypt and how to spend on them.

المقدمة :

يمكن القول إن أهم ما يميز الحضارة الإسلامية هو الاهتمام الكبير بالجانب الثقافي والفكري ومنها التربية والتعليم ،حيث نالت اهتماماً كبيراً من رجالات الدولة، ومنهم الأيوبيين الذين اهتموا بالعلم والثقافة والتعليم ،حيث

تميز العصر الأيوبي بازدهار الحياة العلمية والثقافية والدليل على ذلك النتاج العلمي والمؤلفات الكثيرة التي تزخرها المكتبات الإسلامية ،وحرصوا على تخصيص موارد مالية كبيرة للإنفاق عليها وتسير سبل العيش الكريمة إلى شيوخ والهيئات التدريسية وطلبة العلم والمعرفة.

وترجع أهمية البحث إلى التقصي لموارد التربية والتعليم في مصر خلال العصر الأيوبي وأوجه الإنفاق على تلك المؤسسات التربوية والتعليمية ،خاصة أن المصادر التاريخية تؤكد على ازدهار المؤسسات التعليمية في مصر خلال العصر الأيوبي لكنها لم تذكر لنا مصادر التمويل المالي في تلك المؤسسات وكيفية الإنفاق عليها .

أما الغاية من الدراسة فهي معرفة مصادر تمويل المؤسسات التربوية والتعليمية في مصر خلال الفترة (٥٦٧ – ٦٤٨ هـ / ١١٧١ – ١٢٥٠ م)التي تمثل فترة حكم الأيوبيين ،وإطلاع الناس على واقع التربية والتعليم في أهم جزء في بلاد المغرب الإسلامي الا وهي مصر ، إذ شهدت العصور الإسلامية اهتماماً واضحاً بالتربية والتعليم عند المسلمين الذي يعود ذلك إلى أسباب دينية،وسياسية،واقتصادية،واجتماعية،وثقافية.

ونظرا لطبيعة موضوع الدراسة واحتوائه على معلومات تاريخية،وتربوية،وتعليمية،اعتمدتُ على المنهج التاريخي التحليلي،إذ ساعد هذا المنهج في الوقوف على التربية والتعليم ومصادرها المالية في مصر.

واقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها على ثلاثة نقاط سبقت بمقدمة وانتهت بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليه الدراسة،فجاء في النقطة الأولى بعنوان المؤسسات التربوية والتعليمة في مصر خلال العصر الأيوبي،ودرسنا في النقطة الثانية محفزات التربية والتعليم في مصر ،وتطرقنا في النقطة الثالثة مصادر التمويل المالي المؤسسات التربوية والتعليمية في مصر وكيفية الإنفاق عليها .

إما في مجال الدراسات العلمية التي كان لها السبق لهذه الدراسة منها التعليم في مصر زمن الأيوبيين للدكتور عبد الغني عبد العاطي ،حيث تهدف هذه الدراسة إلى توضيح مظاهر العملية التعليمية في مصر في العصر الأيوبي ، والمدارس في مصر خلال العصر الأيوبي للدكتورة عفاف صبرة ، و الحياة العلمية في صعيد مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي للدكتور جمعة محمد نصر وغيرها من الدراسات الأكاديمية .

ومن الله التوفيق

أولا : المؤسسات التربوية والتعليمية في مصر خلال العصر الأيوبي

يُراد بالمؤسسات التربوية والتعليمية هنا جميع المراكز الدينية والدنيوية ذات الصلة بخدمة المجتمع وعناصره بهدف تربية وتعليم الأجيال القادمة ،وهي تتضمن الجوامع الكبرى والمشاهد المقدسة والمدارس ،ودور الحديث ،والبيمارستانات(١):ومن أهمها خلال العصر الأيوبي.

١- الجوامع الكبرى والمشاهد المقدسة .

يُعد الجامع والمسجد أقدم وأهم المراكز العلمية التي عرفتها مصر قبل ظهور المدارس كمؤسسات تعليمية مستقلة، وشهد عمل المسجد إبان العصر الأيوبي ركودا علميا واضح، بسبب اهتمام الأيوبيين ببناء المدارس وتخصيصهم الأوقاف الضخمة لها مما أدى إلى توافد أعداد كبيرة من الطلبة والمدرسين عليها، إذ أفادوا بشكل

مباشر من تطبيق نظام الجرايات أو المرتبات الشهرية فيها، فان المسجد استمر بممارسة وظيفته كمركز علمي مهم يؤهل أعداداً كبيرة من الطلبة، لاسيّما طلبة العلوم الشرعية من أتباع المذهب الذي ينتمي إليه الواقف،ويُعد جامعي عمرو بن العاص والجامع الأزهر من اشهر الجوامع التي شيدت في مصر (٢) ، إذا يُعد جامع عمرو بن العاص، أو الجامع العتيق كما يُسميه بعض المؤرخين(٣)، من المساجد الجامعة المهمة في مصر عامة، لاسيما في مدينة الفسطاط، ذلك أنه أول مسجد أسسه المسلمون هناك عام ٢١هـ/٦٤١م أي بُعيد الفتح الإسلامي لمصر. وهو من تلك الوجهة يُعد أقدم بل أول معهد تعليمي في مصر الإسلامية،ويُعد الجامع الأزهر من مواطن الثقافة المهمة في مصر. أنشأه القائد جوهر الصقلي مولى الخليفة المُعز لدين الله الفاطمي حين شرع ببناء مدينة القاهرة، مبتدءاً بناءه في الرابع والعشرين من شهر جمادى الأولى من عام ٣٥٩هـ/نيسان عام ٩٧٠، ولم يلبث الأزهر أن تطور ليصبح واحداً من المراكز العلمية الإسلامية المهمة التي يقصدها المدرسون والطلبة على حدٍ سواء(٤)..

ويبدو أن التدريس فيه قد بدأ منذ وقت مبكر، وقد أشار المقريزي(٥) إلى ذلك المعنى بقوله: "وبهذا الجامع درس من قديم الزمان". بيد أن مكانته العلمية كانت قد تعززت في العصر الأيوبي، إذ احتضنت أروقته حلقات الدرس المختلفة من فقه ونحو وغير ذلك ،والجامع الظافري الذي يُسمى أيضا الجامع الأفخر، أنشأه الخليفة الظافر بنصر الله الفاطمي عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م في سوق الشوايين في مدينة القاهرة(٦)، ومنذ افتتاحه كان الجامع الأفخر يُمثل أحد المعاهد العلمية المهمة في مصر فقد رتبت فيه "حلقة تدريس وفقهاء ومتصدرون للقرآن"(٧).

وكان للمشاهد المقدسة مساهمة فاعلة في النشاط العلمي والفكري الذي تحقق أيام الأيوبيين إذ لم تقتصر مهمتها على ما كان يُمارس فيها من مراسيم الزيارة لضريح الولي الذي يضمه ذلك المشهد سواء كان عالماً أم صوفياً فحسب، بل عملت كمراكز علمية أيضا، فقد احتضنت أروقتها مختلف الحلقات العلمية التي اختصت بتدريس العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية. ويقف على رأس تلك المشاهد، المشهد الحسيني في القاهرة الذي يعتقد المصريون أنه يضم رأس الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)(٨). فمنذ مطلع العصر الأيوبي أصبح المشهد الحسيني أحد أهم مراكز تدريس الفقه الشافعي ،إما مشهد الشافعي (ت٢٠٤هـ/٨١٩م)(٩)الذي يوصف بأنه "من المشاهد العظيمة احتفالاً واتساعاً"(١٠) في مصر، وكان الأموال التي تأتي إلى هذه المشاهد المقدسة وما فيها من حلقات العلم من تلك الأموال التي كانت تجنى إليها وترصد لها مراكز للسياحة والتقرب لله تعالى .

٢- المدارس.

عرفت بلاد الشام فقد عرفت نظام المدارس عن طريق السلاجقة، إذ شهد العقد الأخير من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إنشاء أول مدرسة لتدريس الفقه الحنفي، كان قد أنشأها الأمير شجاع الدين في مدينة دمشق عام ٤٩٣هـ/١٠٠٩(١١).

وشهد الربع الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي قيام الدولة الأتابكية في الموصل وحلب كامتداد للدولة السلجوقية في الشام، حيث وجه أتابكتها وملوكها عناية كبيرة لبناء المدارس والربط(١٢) والزوايا، واستقدام مشاهير الفقهاء من الحنفية والشافعية فضلاً عن الصوفية لغرض تثبيت دعائم مذاهب أهل

السنة من جهةوفي هذا الصدأ برز دور الملك العادل نور الدين محمود الذي أوجز سياسته في بناء المدارس بقوله: "ما أردنا بناء المدارس الا لنشر العلم ودحض البدع وإظهار الدين"(١٣) وهو ما علق عليه أبو شامة(١٤) قائلاً :"إن بلاد الشام قبل نور الدين كانت خالية من العلم وأهله وفي زمانه صارت مقر العلماء والفقهاء لصرفِ همته إلى بناء المدارس والربط وترتيب أمورهم" وبموجب ذلك يتضح إن كلاً من الوزير نظام المُلك والملك العادل نور الدين محمود قد عمدا إلى توظيف المدرسة بنظامها الجديد سواء كانت شافعية أم حنفية لخدمة إغراض سياسة ومذهبية تدور حول توطيد شؤون السلطان الحاكم في بلاد الشام وتقوية المذهب الذي ينتمي إليه، حيث ينال من خلالها دعم الفقهاء والعلماء، فضلاً عن ان كلاهما استخدم تلك المؤسسة لنشر أفكار المذاهب السنية التي كانا يعتنقانها ويتعصبان لها، من هنا فأن المدرسة بشكلها الذي أسسه نظام المُلك ونظام الجرايات الذي كانت تطبقه أصبحت أنموذجا للمدارس التي عرفها العالم الإسلامي لاسيما مدارس مصر الأيوبية التي شهدت ثورة حقيقية في النشاط العلمي والفكري أحدثها الانتشار الواسع والسريع للمدارس في شتى أرجاء البلاد، وهو ما سنوضحه لاحقاً وبما ينسجم مع مواضيع الفصل القادم التي تستعرض أهم العوامل التي أثرت في مسيرة الحركة الفكرية بمصر الأيوبية.

٣. البيمارستانات.

شهدت أيام صلاح الدين اهتماماً واضحاً بإنشاء البيمارستانات في مصر بسبب روح الجهاد السائدة في البلاد آنذاك ، وما تتطلبه تلك الروح من حشد للطاقات لاسيما في الجانب الصحي ، فيما كان ذلك الاهتمام في عهد خلفائه ظاهرياً ولا يتعدى حقل الخدمات دون وجود علامات لتشييد صرح طبي جديد.

واختار السلطان صلاح الدين أحد قصور الفاطميين ليكون أول بيمارستان يعود للعهد الجديد، ويرجع السبب في اختيار ذلك الموضع إلى توافر الشروط الصحية المناسبة من جهة، وخلوه من بيت النمل من جهة أخرى، وقد افتتح البيمارستان الذي أطلق عليه ((البيمارستان الناصري)) رسمياً في ذي القعدة من عام ٥٧٧هـ/١١٨١م بعد أن "أفرد برسمه الوباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار وغلات جهتها الفيوم، واستخدم له أطباء وغيرهم"(١٥).

ولم يكن البيمارستان الناصري، البيمارستان الوحيد الذي أنشأه صلاح الدين في مصر، ففي شوال من العام نفسه، وخلال زيارته لمدينة الإسكندرية، افتتح عدداً من المنشآت الخدمية في المدينة كان قد أمر بإنشائها في وقت سابق من بينها بيمارستان الإسكندرية (١٦).

ونتيجة للتطور الكبير الذي أصاب النظام الصحي بصورة عامة، فقد خضع لنظام دقيق في المراقبة. إذ كان ينقسم إلى قسمين منفصلين أحدهما للذكور والآخر للإناث. يضم كلاً منهما قاعات مختلفة مجهزة كل منها لعلاج نوع من الأمراض، فقاعة لعلاج الأمراض الباطنية وأخرى للجراحة وثالثة للكحالة ((طب العيون)) وقاعة للتجبير وهكذا(١٧).

ولم تقتصر وظيفة البيمارستان على علاج المرضى فحسب، بل شملت أيضا تدريس علوم الطب المختلفة عن طريق الاجتماعات العلمية التي تتم لدراسة مختلف الحالات المرضية التي تثبت، فكان الطبيب يجلس مع معاونيه في صدر القاعة المخصصة لذلك والمجهزة بالكتب والآلات الطبية المختلفة، ويجلس بين

يديه صغار الأطباء والمشتغلين بالطب لتجري مباحث طبية، ويُقرئ التلاميذ ولا يزال معهم في مباحثة ونظر في الكتب الطبية عدة ساعات قبل أن يركب إلى داره(١٨).

٤- المكتبات العامة.

عرفت مصر الأيوبية العديد من المكتبات العامة سواء تلك التي أُلحقت بالمدارس أو المساجد التي يؤمها المئات من طلبة العلم والأساتذة على حدٍ سواء للإفادة مما كانت تحتويه من مصنفات في مختلف العلوم، ومن أبرز تلك المكتبات، بل وتقف في صدارتها، مكتبة المدرسة الفاضلية التي ألحقها القاضي الفاضل بمدرسته (الفاضلية) التي بناها في درب ملوخيا بمدينة القاهرة عام (٥٨٠هـ/١١٨٤م)، وضمت أعداداً كبيرة من الكتب زادت على مائة وعشرون ألف كتاب، كان الفاضل قد حصل على الجزء الأكبر منها من مخلفات المكتبة الفاطمية، أما الجزء الآخر فقد حصل عليه الفاضل بعد أن تمكن صلاح الدين من ضم مدينة آمد إلى ممتلكاته عام (٥٧٩هـ/١١٨٣م) عندما وضع يده على الكثير من ذخائرها ونفائس ممتلكاتها التي كان من أبرزها "خزانة كتب فيها ألف إلف وأربعون إلف كتاب وهب السلطان الكتب للقاضي الفاضل فانتخب ما حملُ سبعين حجازه"(١٩)، فضلاً عن نفائس الكتب التي كان الفاضل اقتناها أما عن طريق الشراء أو عن طريق البيع إذ كان يعمد إلى شراء نفائس الكتب والمخطوطات من أسواق الكتب وحوانيت الوراقين مهما كانت تكلفة الكتاب، فقد اشترى مصحفاً كبيراً مكتوباً بالخط الكوفي يُقال أنه مصحف الخليفة عمر بن الخطاب ، بمبلغ ثلاثين ألف دينار(٢٠)،أو عن طريق النسخ فقد ذكر المقريزي(٢١) أن للقاضي الفاضل عدداً من النساخ والمجلدين الذين كانوا يعملون على نسخ المخطوطات والكتب المهمة وتغليفها بلا كلل أو فتور لمصلحة سيدهم، ومن هنا يمكن تصور حجم المكتبة التي أنشأها القاضي الفاضل وأوقفها على مكتبته.

ومن المكتبات العامة الأخرى، مكتبة المدرسة الصباحية، التي أنشأها الوزير الصاحب صفي الدين بن شكر (٦٢٢هـ/١٢٢٥م)(٤) في مدينة القاهرة، التي كانت توصف بأنها مكتبة كبيرة وتضم نوادر الكتب والمخطوطات، لذا فقد دأب طلبة العلم على ارتيادها في أغلب الأحيان(٢٢).

وأيضا المكتبات الخاصة التي أنشأها العلماء والفقهاء والأدباء لأغراضهم الخاصة، واتسع نطاقها في مصر نظراً لاحتضانها أعداداً كبيرة من العلماء والفقهاء والأدباء حتى أنه يصعب أن نتصور عالماً أو فقيهاً لم تكن له مكتبته الخاصة التي يعود إليها في دراساته وكتاباته، ومن أبرز تلك المكتبات، مكتبة الحافظ أبو طاهر السلفي (ت ٥٧٦هـ/١١٧١م) الذي استوطن ثغر الإسكندرية بضعاً وستين سنة ينشر العلم هناك ،ويحصل الكتب التي قل ما اجتمع لعالم مثلها في الدنيا (٢٣) وقد انفق في ذلك أموالاً طائلة فتجمعت لديه خزائن كتب لم يتمكن حتى من النظر فيها "فعفنت وتلصقت لنداوة البلد فكانوا يخلصونها بالفأس فتلف أكثرها"(٢٤).

ومن المكتبات الخاصة ذات المكانة المرموقة في مصر الأيوبية ما يعود للأمير مرهف بن أسامة بن مرشد الكناني الشيزري (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م) المحدث والأديب المصري المعروف الذي "جمع من الكتب كثيراً وكان شديد الشغف بها والاجتهاد في تحصيلها"(٢٥)، لذا فقد كوّن مكتبة كانت من الضخامة بحيث أنه باع منها في إحدى المناسبات أربعة آلاف مجلد نتيجة لنكبة لحقته ولم يؤثر ذلك فيها مطلقاً(٢٦)،وكان الطابع الأدبي هو المميز لمقتنياتها إذ ضمت أعداداً كبيرة منها، لاسيما تلك التي اقتناها من كبار أدباء عصره أمثال

ياقوت الحموي الذي التقاه الأمير مرهف في أثناء زياراته المتكررة لمصر(٢٧)، بيد أن مصير تلك المكتبة بقي مجهولاً بعد وفاة الأمير مرهف لإحجام المصادر التاريخية عن ذكر ما آلت إليه.

أما مصادر تزويد المكتبات بمثل تلك المجموعات من الكتب فهي متعددة، أهمها ما يحبسه الواقف على مكتبة وقفه سواء كان ذلك الوقف مدرسةً أم مسجداً، من كتب تبعاً لحالته المادية، فقد أوقف الفاضل الفاضل (ت ٥٩٦هـ/١١٩٩م) مجموعة كبيرة من الكتب تقدر بمائة إلف كتاب وفي مختلف العلوم، على مكتبة مدرسته ((الفاضلية))(٢٨).

كذلك تعد الهدايا والهبات مصدراً آخر من مصادر تزويد المكتبات بالكتب من خلال ما يوقفه العديد من العلماء أو أهل اليسار بكميات كبيرة من الكتب على بعض المكتبات العامة لأسباب متنوعة، فقد أوقف الشيخ أبو الطيب السبتي جميع كتبه على مكتبة الجامع الذي كان يتصدر فيه للتدريس بمدينة قوص(٢٩)، وأسهم الوجيه الشيخ محمد بن الرافدة (ت٦١٠هـ/١٢١٣م) برفد مكتبة مسجد سوق بربر بالكثير من الكتب بعد أن جدد بنائه(٣٠)،وأوقف الحافظ رشيد الدين العطار المالكي(ت٦٦٠هـ/١٢٦١م) الذي انتهت إليه رئاسة الحديث بالديار المصرية، جميع كتبه على خزانة المسجد الذي كان يتصدر فيه لإقراء الحديث(٣١).

وغالباً ما يعمد العلماء والفقهاء إلى رفد مكتبات المدارس بكل ما هو جديد من نتاجاتهم العلمية الجديدة، وكان للنساخ إسهاماتهم في تزويد المكتبة بما تحتاجه من كتب، سواء تلك التي يتقاضون عن نسخها أجورا، أم تلك التي تُنسخ بواسطة الطلبة(٣٢).

ومثل شراء الكتب من حوانيت الوراقة وأسواق الكتب مصدراً آخراً من مصادر تزويد المكتبات بالكتب فقد كان الكثير من العلماء يعمد إلى شراء الكتب من حوانيت الكتب ودفع ثمنها من ريع الوقف(٣٣).

٥- المراكز الصوفية .

أول تلك المؤسسات، الزاوية وهي كالخوانق والربط تؤدي وظيفة دينية – روحية، إلا أنها أصغر منها في الغالب، والزاوية مأخوذة من الفعل (إنزوى) بمعنى أتخذ ركناً من أركان الجامع للاعتكاف والعبادة(٣٤).

أُنشأت الزوايا أول الأمر ملحقة بالمسجد الجامع، إلا أنها لم تلبث أن تطورت إلى أبنية صغيرة منبثة في أرجاء مختلفة في المدينة على هيئة دور أو مساجد صغيرة للصلاة والعبادة يتخذها أحد المشايخ المشهورين بالصلاح والتقوى سكناً له ولمن يَرِدُ عليه من العابرين. وتُعقد فيها حلقات الدرس في علوم الدين وما يتصل بها من علوم أخرى(٣٥).

وتختلف الزاوية عن الخانقاه في بعض الجوانب الشكلية لاسيما ما يتعلق منها بطريقة التمويل والتسمية، فالخانقاه غالباً ما تتخذ اسم منشئها والذي يتولى أيضا تمويلها والإشراف على شؤونها كما هو الحال بالنسبة لخانقاه سعيد السعداء الذي كان يسمى أيضا (الخانقاه الصلاحية) نسبة للسلطان صلاح الدين، وذلك بخلاف الزاوية التي غالباً ما كانت تكتسب اسمها من اسم الشيخ الذي يتولى إدارتها والتدريس فيها بصرف النظر عن الجهة التي تولت إنشائها وتغطية نفقاتها مثل زاوية الفيروز أبادي التي أنشأت بجوار ضريح الصوفي الشهير ذي النون المصري في القرافة .

وبالرغم من تلك الاختلافات الواضحة في طبيعة ومهام كل من الزاوية والخانقاه إلا أن معانيها قد تشابهت إلى الحد الذي اختلطت فيه على الكثير من المعاصرين بحيث لم يتمكنوا من التمييز بين أسمائها ووظيفة كل منها، فالرحالة ابن بطوطة الذي زار مصر وشاهد الكثير من الخوانق والزوايا فيها، لم يتمكن من التفريق بينهما واعتبرهما مكاناً واحداً إذ قال: " .. وأما الزوايا فكثيرة وهم يسمونها الخوانق."(٣٦).

ومن اشهر الزوايا العلمية زاوية الإمام الشافعي التي قيل عنها أن الإمام محمد بن إدريس الشافعي أقام بضع سنين يُدرس فيها فاشتهرت به، لذا كانت تلك الزاوية موضع عناية السلاطين الأيوبيين –الشافعية– الذين رصدوا لها الأموال اللازمة لديمومة النشاط العلمي فيها، وأوقف بهاء الدين بن الجُميزي (ت٦٤٩هـ/١٢٥١م)(٣٧). وأوقف عليها أرضاً بناحية سندبيس "ولم يزل يتولى تدريسها أعيان الفقهاء وجُلّة العلماء"(٣٨)،وقد بقيت تلك الزاوية فاعلة النشاط حتى نهاية العصر الأيوبي.

وتقع الزاوية المجدية بصدر الجامع بين المحراب الكبير ومحراب الخمس، رتبها مجد الدين أبو الأشبال بن أبي المحاسن وزير الملك الأشراف موسى بن الملك العادل سيف الدين (ت٦٢٨هـ/١٢٣٠م) وأوقف عليها أوقافاً جليلة في مدينتي القاهرة والفسطاط(٣٩)، وقد أشار المقريزي(٤٠) لذلك المعنى بقوله:"ويُعد تدريس هذه الزاوية من المناصب الجليلة".

ورتب الوجيه كمال الدين السمنودي إلى الزاوية الكمالية التي تقع بجانب المقصورة المجاورة لباب الجامع من جهة سوق الغزل وأوقف عليها فندقاً كان يملكه بمدينة القاهرة(٤١).

و تقع الزاوية التاجية أمام الحراب الخشبي، ورتبها الوجيه تاج الدين السطحي وأوقف عليها عدداً من الدور في مدينة الفسطاط(٤٢).

وأوقف معين الدين الدهروطي الزاوية المعينية التي تقع في الجانب الشرقي من الجامع أوقافاً جليلة في مدينة الفسطاط، وقد اختصت بتدريس الفقه الشافعي(٤٣).

ورصد تاج الدين محمد بن محمد بن حنا إلى الزاوية الصاحبية جملة من الأوقاف بخط البرادعيين خارج مدينة القاهرة(٤٤).

وعرفت مصر الخاقاه لأول مرة عام ٥٦٩هـ/١١٧٣عندما أمر السلطان صلاح الدين بتحويل دار ((سعيد السعداء))(٤٥) إلى دار يقيم فيها الفقراء والصوفية الوافدين إلى مصر من مختلف البلاد الإسلامية إذ اشترط أن من مات من الصوفية وترك عشرين ديناراً فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان السلطاني، ومن رغب بالسفر إلى خارج مصر، فأن الديوان السلطاني يتكفل بجميع نفقاته "ورتب للصوفية في كل يوم طعاماً ولحماً وخبزا"٢).

وفيما يتعلق بالنظام الداخلي للخانقاه، فأنه يضم عادة مجموعة من المريدين والأتباع كما يضم مجموعة من المساعدين الذين تنحصر مهمتهم في توفير متطلبات الصوفية من مأكل وملبس ودواء مما يتيح لهم المجال لممارسة طقوسهم المعتادة من مجاهدة وسماع وذكر، فضلاً عن مجموعة من الأشخاص الذين يتولون مهمة حلق رؤوس الصوفية وتدليك أجسامهم لتمكينهم من العبادة والذكر(٤٦).

وكانت إدارة الخانقاه من المناصب الدينية الهامة تخضع لمسؤولية الدولة، وكان شيخه يلقب بشيخ الشيوخ(٤٧). وقد حرص سلاطين بني أيوب على إسناد تلك الوظيفة الهامة لكبار رجال الدولة وأعيانها كأولاد شيخ الشيوخ ابن حمويه الجويني الذين تولوا مناصب مهمة كالوزارة وقيادة الجيوش وكذا الحال بالنسبة لقاضي القضاة تقي الدين بن ذي الرياستين(٤٨).

ولم يقتصر النشاط العلمي في الخانقاه على الجهود التي بذلها الصوفية فحسب، بل امتد ليشمل العديد من العلماء الذين لا علاقة لهم بالتصوف، فقد اتخذ الفقيه الشافعي شهاب الدين الطوسي (ت ٥٩٦هـ/١١٩٩م) من خانقاه سعيد السعداء مقراً مؤقتاً لإقامته فترددت إليه الطلبة من جميع مدن مصر للأخذ عنه(٤٩)، أما الحافظ زكي الدين المنذري (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، فقد ذكر ان معظم سنوات دراسته على الفقيه الشريف أبو عبد الله المأموني (ت٦٠٣هـ/١٢٠٦م) كانت في خانقاه سعيد السعداء(٥٠).

ومن المراكز الصوفية العلمية الرباط وكان على مستوى التنظيم فأن للرباط عالمه المستقل، الذي تحدد أبعاده الظروف الخاصة التي يعيشها الصوفية داخله، فضلاً عن أن ظروف المعيشة الخاصة بالمريدين تختلف من رباط لآخر، فلكل رباط تنظيمه الخاص به الذي يتأثر بطباع ساكنيه وسلوكهم ومستوياتهم، وأنه يتأثر كذلك بأوضاع شيخ الرباط وسلوكيته وبعلاقة الرباط بالسلطنة التي تهيأ له أسباب الديمومة ولعل رباط المُقس الذي أنشأه الأمير بهاء الدين قراقوش (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) خير مثال على ذلك(٥١).

وأسهم الوزراء وكبار الأمراء في إنشاء العديد من الربط في مختلف مدن مصر، فقد انشأ الوزير صفي الدين بن شكر رباطاً في مدينة القاهرة(٥٢). وأنشأ الأمير فخر الدين البارومي أستاذ دار الملك الكامل رباطاً في القرافة(٥٣). فضلاً عن رباط المُقس الذي شيده بهاء الدين قراقوش (٥٤).

٦- بيوت العلماء.

تعد بيوت العلماء أحد أبرز الأماكن ذات التأثير الفكري في مصر الأيوبية، فبالرغم من أن الفقهاء المسلمين لم يشيروا إلى المنزل على أنه من الأماكن الصالحة للتعليم كون ذلك يؤدي إلى التعارض بين جلالة المنزل وهدوئه وبين ما تتطلبه حلقة الدرس من جدل وحوار، إلا أنهم منحوا ذلك المنع هامشاً قليلاً من المرونة حينما أقروا بأن "المنازل مكان للدرس عند الضرورة فقط" (٥٥).

وكان من أبرز البيوت التي شهدت توافد الطلبة عليها، بيت الحافظ أبو طاهر السلفي في مدينة الإسكندرية الذي اتخذه الحافظ مكاناً للتدريس إلى جانب المدرسة الحافظية التي كان يُدرس فيها. ففي إحدى منتخباته من أصول سماعات أبي الحسن علي بن المشرف يقول: ""بلغت من أوله قراءة وسماعاً ومعي اسحق وحمد ابنا أحمد بن موسى المرزواني وصح لنا ذلك في منزلي بالإسكندرية"(٥٦).

ولم يقتصر التدريس في المنازل على العلوم النقلية فحسب، بل امتد ليشمل دراسة بعض العلوم الطبيعية كالطب والنجوم ونحو ذلك. فقد تقدمت الإشارة إلى أن الطبيب هبة الله بن جميع (ت ٥٩٤هـ/١١٩٨م) اعتاد استقبال الطلبة الراغبين في دراسة الطب في منزله حيث كانت تدور المناقشات النظرية هناك، بيد أن ذلك المجلس لم يكن حكراً على الدراسات الطبية فحسب، بل غالباً ما كانت تدور فيه مناقشات في مختلف المواضيع كالأدب والنحو وغير ذلك(٥٧)، وكذا الحال بالنسبة للمنجم الشهير علوي الديري (ت ٥٩٥هـ/١١٩٩م) الذي

اعتاد عقد مجالسه العلمية في منزله بقرية دير البلاص شمال مدينة قوص، الذي كان مقصداً لكل من يأخذ علمه(٥٨) وكان يصرف على تلك البيوت من اموال العلماء الخاصة بهم .

٧- أسواق الكتب وحوانيت الوراقين.

يمكن عَدّ أسواق الكتب وحوانيت الوراقين، أحد الأماكن التي أثرت إلى حد كبير في تقدم النشاط الفكري في مصر إبان العصر الأيوبي، ذلك أن بائعي الكتب لم يكونوا مجرد تجار يسعون إلى جني المكاسب المادية فحسب، بل كان غالبيتهم أدباء ذوي ثقافة ينشدون الرياضة العقلية من وراء تلك المهنة التي كانت تتيح لهم القراءة والإطلاع على الدوام وتجذب لحوانيتهم أبرز علماء العصر وأدبائه إذ احتضنت التجمعات واللقاءات الثقافية بشكل يومي أو نصف أسبوعي على أقل تقدير(٥٩).

وإبّان العصر الأيوبي، شهدت أسواق الكتب وحوانيت الوراقين في مصر رواجاً كبيراً، نتيجة للنشاط العلمي الذي شهدته البلاد حينئذ، فغالباً ما كانت مواضع تلك الأسواق ملاصقة للمساجد الكبرى في المدينة وبالتالي تتأثر بفعاليتها، ففي الفسطاط، وتحديداً في الجانب الشرقي من جامع عمرو بن العاص في بداية زقاق القناديل، يقع أحد أكبر أسواق الكتب والوراقة(٦٠)، أما في القاهرة المعزية فقد امتدت دكاكين الكتب وحوانيت الوراقين على جانبي الجامع الأزهر وبإزائه(٦١).

وشهدت أسواق الكتب في مصر وباستمرار، زيارات لعدد كبير من العلماء من مختلف البلاد الإسلامية، أمثال ياقوت الحموي الأديب والجغرافي الشامي الشهير (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) الذي زار مصر مرتين، الأولى عام ٦١١هـ/١٢١٤م، أما الثانية فكانت عام ٦١٢هـ/١٢١٥م إذ حمل معه كميات كبيرة من الكتب لعرضها في أسواق الكتب هناك(٦٢)وكان بيع الكتب من المصادر المالية للمؤسسات التربوية والتعليمية.

ثانيا :محفزات اهتمام حكام مصر بالتربية والتعليم

يمكن القول إن هناك عوامل قد شجعت الاهتمام بالتربية والتعليم من قبل الأيوبيين خاصة إن القران الكريم قد حث على التربية والتعليم في كثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى:((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ))(٦٣)، إذ يوضح الله تعالى أن لا يستوي الذين يعلمون ما وعد الله من الثواب والعقاب،والذين لا يعلمون ذلك (إنما يتذكر أولو الألباب)،أي إنما يتعظ ذوو العقول من المؤمنين (٦٤)،وقوله تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فافسحوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ))(٦٥) وتفسير هذه الآية القرآنية الكريمة أن الله تعالى مؤدبا عباده المؤمنين ويأمرهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس العلمية (٦٦)،وقوله تعالى:((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ))(٦٧)،ويقصد بهذه الآية القرآنية الكريمة أنه ليس يخاف الله حقّ خوفِه ولا يحذَرُ معاصيه خوفاً من نقمته،إلا العلماء الذي يعرفونه حق معرفتِه(٦٨) وغيرها من الآيات القرآنية .

فضلا إلى الأحاديث النبوية الشريفة التي هي من عوامل اهتمام بالتربية والتعليم ،إذا وردت كثير من الأحاديث الشريفة التي تحث على العلم والتعلم،لاسّيما في الأُمور الدينية،ولا غرابة في ذلك فأن الإسلام أكد على هذه المسألة،إذ ورد عن الرسول محمد(صلى الله عليه واله وسلم)أحاديث كثيرة في فضل العلم والتعلم،ومنها قوله(صلى الله عليه واله وسلم):"ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلّا وَضعت له الملائكة أجنحتها رضاً بما يصنع"(٦٩)،وقوله(صلى الله عليه واله وسلم):"أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما،ثم يعلمه أخاه المسلم"(٧٠).

ومن المعروف أن الأيوبيين كانوا أكراداً بأصلهم ونسبهم ولكنهم في الواقع كانوا عرباً بثقافتهم وتربيتهم ونشأتهم، فقد نشأوا نشأة عربية إسلامية وامتزجوا بها ولهذا شغلوا باللغة العربية وآدابها وعلومها وقربوا إليهم الشعراء والعلماء والكتاب وشملوهم بعطفهم وكرمهم وهباتهم وخلعهم فاكتظت مجالسهم بأهل العلم والأدب(٧١)،فكان التشجيع والدعم المتواصل الذي وجده العلماء ، وتحديدا من الحكام الأيوبيين الذين ساعدوا على جذب واستقطاب العلماء بمختلف الاختصاصات ومن شتى المدن الإسلامية نحو مصر، من خلال دعم حركة إنشاء الجوامع والمساجد والتي بلغ عددها منذ دخول المسلمين إلى مصر ، وفقا لما ذكره ابن شداد سبعمائة وخمس وعشرين مسجدا (٧٢).

لذلك فلا عجب أن يحتل سلاطين الأيوبيين مكانة بارزة بين المسلمين في الاهتمام بالعلم والتعليم، حتي أصبح للعصر الأيوبي سمة خاصة ميزته عن العصور الإسلامية الأخرى فقد شهد العصر الأيوبي نهضة فكرية وثقافية وأدبية ودينية ،والدليل علي ذلك من النتاج العلمي والمؤلفات الكبيرة التي تزخربها المكتبات الإسلامية إلي جانب الشخصيات البارزة التي تألقت ونالت حظها في ميدان الفكر والدين والسياسة(٧٣).

وأن تشجيع على التربية والتعليم حقيقة لم تكن وليدة البيت الأيوبي وإنما يرجع ذلك إلي ظهور الإسلام حيث كانت أولي آياته تأمر بالقراءة والعلم، ومن هنا أصبح العلم شعار الإسلام والحث عليه وتشجيعه واجب أساسي وفرض علي كل مسلم ومسلمة .

وتميز العصر الأيوبي بازدهار الحياة العلمية والثقافية، حيث عمل صلاح الدين ومن بعده علي تشجيع الفقهاء والعلماء وتكريمهم والإغداق عليهم وبناء المساجد ومدارس القرآن والحديث(٧٤).

والثابت أن صلاح الدين وجميع سلاطين البيت الأيوبي أحبوا العلم والعلماء فكان صلاح الدين الأيوبي يجمع حوله رجال العلم ويحضر مجالسهم ويستمع إليهم ويشاركهم أبحاثهم كما كان يشارك بنفسه في تشييع جنائزهم(٧٥)

كذلك عمل صلاح الدين يوسف بن أيوب شادي(٥٦٤-٥٨٩هـ/١١٦٨-١١٩٣م)(٧٦) منذ أن كان وزيراً للعاضد (٥٤٤ - ٥٦٧ هـ/١١٤٩ - ١١٧١ م) (٧٧)علي نشر العلم والثقافة والاهتمام بالتربية والتعليم حيث كانت تحدوه

رغبة أكيدة في ضرورة تحويل مصر من المذهب الشيعي إلي المذهب السني(٧٨) ولعل أسباب عدة تقف وراء هذا الدعم الكبير الذي تلقته الحركة الفكرية ، يأتي في مقدمتها التزامهم بما جاء به

الدين الإسلامي الذي حث على طلب العلم ، فضلا عن رغبتهم في تثبيت دعائم المذهب الشافعي الأشعري الذي سار جنبا إلى جنب مع سياسة الدولة الأيوبية، وكذلك رغبتهم في التصدي للمشاكل الداخلية والأفكار الإسماعيلية ، ولدفع الخطر الصليبي ، وكذلك الاستفادة من العلاقة الجيدة بين العلماء وعامة الناس من اجل كسبهم واستنهاض هممهم (٧٩) ، حيث عمل صلاح الدين ومن بعده على تشجيع الفقهاء والعلماء وتكريمهم والإغداق عليهم بالأموال (٨٠)،ونتيجة لاهتمام الأيوبيين بإنشاء المدارس فقد حرصوا على تخصيص موارد مالية كبيرة للإنفاق عليها ودعم العملية التعليمية ودفع المرتبات للأساتذة وللهيئة العلمية والإنفاق علي الطلبة حتي تتيسر لهم سبل العيش الكريمة(٨١)،فكان صلاح الدين يجمع حوله رجال العلم ويحضر مجالسهم ويستمع إليهم ويشاركهم أبحاثهم (٨٢)

فقد أمر صلاح الدين بتشييد مدرسة خامسة بجوار المشهد الحسيني ووقفها لتدريس فقه المذهب الشافعي، وقد أطلق على تلك المدرسة ((مدرسة المشهد))(٨٣) ويبدو إن تلك المدرسة لم ترق إلى مستوى المدارس السابقة التي أنشأها صلاح الدين في أوقات سابقة، ذلك إن المصادر التاريخية لم تعن كثيراً بتاريخ تأسيسها، أو فعالياتها العلمية أو مدرسيها.

ولم يقتصر اهتمام صلاح الدين بإنشاء المدارس في مدينتي الفسطاط والقاهرة فحسب، بل امتدت إعماله لتشمل كذلك مدينة الإسكندرية، فخلال زيارته الثانية للمدينة عام (٥٧٧هـ/١١٨١م)، أمر بإنشاء عددٍ من المرافق الخدمية هناك، من بينها مدرسة شيدت بجوار ضريح اخيه الملك المعظم تورانشاه، ولم يقتصر التدريس فيها على الفقه وأصوله فقد رتب فيها مدرسين في مختلف العلوم، فضلاً عن توفير جميع المستلزمات الضرورية للطلبة كالسكن والمرتبات الشهرية(٨٤).

والعامل الثاني الذي شجع على التربية والتعليم هو خروج العلماء لتلقي العلم والمعرفة إلى مختلف البلاد وتلقي العلم على أيدي ابرز علماءها حيث حرصوا على الاهتمام بالتعليم (٨٥)،إذا تعد الرحلة العلمية من أهم العوامل المشجعة في طلب العلم والمعرفة في سبيل التواصل مع العلماء الآخرين في كل المدن والأمصار ،ويمكن القول إن تنوع المؤسسات التعليمية في مصر من التشيع على بناء المساجد والمدارس وغيرها من أهم العوامل التي شجعت على زيادة المعلمين والمدرسين وزيادة النفقات عليهم(٨٦) .

إذا شهدت مصر، منذ قيام الدولة الأيوبية، قدوم أعداد كبيرة من الفقهاء والعلماء من مختلف إرجاء العالم الإسلامي، وفي شتى صنوف العلم، لاسيما العلوم الدينية والشرعية وكانت تلك الهجرة من الأهمية بحيث باتت تشكل مظهراً مهماً من مظاهر الحركة الفكرية النامية بمصر آآنذاك نظراً للدور المهم الذي كان يضطلع به العلماء والفقهاء في ربط أجزاء العالم الإسلامي بعضها بالبعض الآخر.

وقفت وراء هجرة العلماء والفقهاء صوب مصر بأعداد مهمة، جملة من الأسباب الموضوعية، منها ما يرتبط بسلاطين البيت الأيوبي وما تميزوا به من ثقافة عالية ورعايةة محمودة للعلم ورموزه، على وفق توجهاتهم الدينية ورغبتهم في ربط المؤسسة الدينية بحروب الجهاد القائمة آنذاك. وهو ما عكسته بوضوح توجهات السلطان صلاح الدين وأخيه الملك العادل وكل من الكامل والصالح أيوب أيام سلطنتهم على التوالي.

وأفادت مصر من بعض الظروف السياسية التي مرت بها بعض البلاد الإسلامية، المغربية منها، أو المشرقية على حد سواء، والتي أدت من بين أمور كثيرة، إلى هجرة عدد من العلماء البارزين من أهل الذمة، مثلما هو الحال بالنسبة لأسرة الطبيب والفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون القرطبي (ت ٦٠١هـ/١٢٠٤م)(٨٧) الذي أستقر في مدينة القاهرة أواخر العصر الفاطمي بعد جولة قادته إلى عدد من مدن الشام(٨٨)، بعد أن جد الموحدون الذين حكموا بلاد المغرب والأندلس في تلك الحقبة، في مطاردة أهل الذمة بصفة عامة واليهود على وجه الخصوص نتيجة لمواقف صدرت عن بعضهم لا تتناسب مع واجب المواطنة الحقيقة(٨٩).

ولعبت المحن المذهبية والفكرية التي تعرض لها بعض العلماء دوراً مهماً في هجرتهم إلى مصر واستقرارهم فيها، فقد أثارت آراء الحافظ تقي الدين المقدسي في الصفات الإلهية والقران الكريم، حفيظة الكثير من الفقهاء الشافعية من أهل التأويل الذين سعوا به لدى السلطان ثم نجحوا في استصدار مرسوم بقتله لولا تدخل بعض الأمراء الأكراد في المسألة، وعلى أثر ذلك توجه المقدسي إلى مصر وأقام بها حتى وفاته عام (٦٠٠هـ/١٢٠٣م)(٩٠)، مما يدل بلا شك على أن مصر كانت في خصائصها الدينية والاجتماعية أكثر تسامحاً من بلاد الشام مع أعداد العلماء الذين عُرفوا بمواقف سياسية ومذهبية وكلامية متشددة أدت بهم إلى البحث عن مكان أخر في بلاد الإسلام، مما يسمح للبعض منهم اتخاذها ملاذاً آمناً ينعم فيه بعطف السلطان.

وساهمت رحلات العلماء إلى الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج، في استقرار أعداد منهم في مدن مصر المختلفة بعد أدائهم تلك الفريضة، مما مكن طلبة العلم من الإفادة من مجالسهم العلمية، فالمعروف أن مصر تمثل بالنسبة للحجيج، حلقة الاتصال بين بلاد المغرب والأندلس من جهة وبين الديار المقدسة من جهة أخرى، ذلك أن قوافل الحجيج كانت تنطلق بحراً من الأندلس أو بلاد المغرب إلى مدينة الإسكندرية أو أحد موانئ مصر الأخرى ، فيما كانت تسير براً بمحاذاة الساحل الشمالي لمصر باتجاه الإسكندرية أيضا" حيث يلتقي الفريقان هناك ثم تتجه القوافل فيما بعد إلى مدينة القاهرة عن طريق نهر النيل ثم إلى الصعيد الأعلى حتلى مدينة قوص ومنها تخترق القوافل الصحراء الشرقية متجهة نحو مدينة عيذاب على ساحل البحر الأحمر(٩١).

وأخيراً فقد كان للظروف الشخصية التي أحاطت ببعض العلماء أثر مهم في تركهم لبلدانهم واستقرارهم في مصر، فمما يعرف عن الشيخ شهاب الدين الطوسي (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م) والذي يعد من أئمة الفقه البارزين أنداك. أنه كان شديد الاعتداد بنفسه، وطيلة مدة أقامته في بغداد كانت له في سيره طريقة خاصة "حيث كان يركب بالسنجق والسيوف المسللة والغاشية المرفوعة والطوق في عنق البغلة"(٩٢)، ثم ينادى بين يديه هذا ملك العلماء، فلما منع من ذلك، ترك بغداد متجهاً صوب مصر حيث أتصل بالأمير تقي الدين عمر شاهنشاه الذي أنشا مدرسة منازل العز وأوكل إليه مهمة التدريس فيها، وأستمر على تلك الحال حتى وفاته(٩٣).

ومن هذا المنطلق فقد تعددت سبل ومصادر الإنفاق على التعليم في العصر الأيوبي ، فقد شملت الأوقاف التي تعتبر أهم مصادر التمويل في هذه الفترة ، وإذا تتبعنا الأوقاف التي حبست على مدارس مصر الأيوبية لرأينا أن كل مدرسة كان لها وقف معين(٩٤) فنجد عاملاً آخر قد ساعد على النضوج الفكري،والتربوي،والتعليمي،متمثلاً باجتهاد سلاطين الحكم الايوبيين

لتأمين أجواء مناسبة في التربيــة والتعليم من خلال عقد المجالس العلمية وبناء الجوامع والمدارس وغيرها من المؤسسات التربوية والتعليمية (٩٥).

ثالثا مصادر التمويل المالي للمؤسسات التعليمية والتربوية

لم تكن هناك مصادر خاصة بتمويل النشاط العلمي والفكري قبل نشأة المدارس، فقد كان الراغبون بالتحصيل العلمي يتوجهون إلى المساجد ومنازل المدرسين لغرض السماع منهم وفي بعض الأحيان كانت الدولة تقدم المكافآت التشجيعية للمدرسين، بيد أن تلك المكافآت لم تكن مقررة او شاملة لجميع المدرسين إما المعلمون فكان البعض منهم يتبرع للتعليم بدون مقابل، فيما كان البعض الأخر يتلقى الهدايا من الطلبة،وفي القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، شهدت معاهد التعليم زيادة كبيرة في إعداد طلبتها، استلزم معه إيجاد موارد ثابتة لتمويل تلك المعاهد وتغطية نفقاتها، من هنا برزت إيجاد وقف مدر يكفي للإنفاق على المؤسسات التعليمية والتربوية ويفي بمتطلبات القائمين عليه ومن أهم تلك المصادر :

١- **عطاءات السلاطين والحكام :** من مصادر التمويل الأولى للمؤسسات التربوية والتعليمية ،وهذ١ا المصدر لم يكن ثاب وكان قليل ،إذا يتوقف على الهبات والإعانات والصدقات من قبل الحكام والسلاطين والأغنياء وكبار رجال الدولة التي كانت تعتبر مصدرا من مصادر الإنفاق على المؤسسات التعليمية والتربوية و،فكان الملك الكامل يكرم العلماء بالأرزاق والأموال ومنهم تاج الدين الارموي وفضل الدين الخونجي (٩٦)

٢- الأوقاف .

إذا مثلت الأوقاف مصدراً مهماً من مصادر الإنفاق على المراكز العلمية في العصر الأيوبي كالمدارس والمساجد والبيمارستانات ونحو ذلك، بل إن استمرار تلك المؤسسات في أداء مهامها العلمية كان يتوقف على حجم تلك الأوقاف وقدرتها على تغطية نفقاتها ودفع مرتبات موظفيها(٩٧) لذلك فقد انقسمت تلك الموارد إلى ثلاثة أقسام هي :-

أ) الأحباس: وهي أراضٍ من مختلف إعمال مصر حبس ريعها للإنفاق على شؤون المساجد والمدارس والمؤسسات الصوفية. وقد رتب لتلك الاحباس ديواناً يضم كُتّاباً ومدبراً إما مهمة الإشراف على تلك الاحباس فقد انطيت بداودار السلطان وناظر الأحباس الذي يشترط في تعيينه أن يكون من أعيان الرؤساء(٩٨).

وكانت كثرة الأحباس التي حبسها السلطان وكبار الأمراء الأيوبيين والوزراء لأجل الإنفاق على معاهد التعليم التي أقاموها في مختلف مدن مصر، الدافع الرئيسي وراء إنشاء ذلك الديوان، فعندما انشأ السلطان صلاح الدين المدرسة القمحية (٩٩)في مدينة الفسطاط، حبس عليها ضيعتي الحنبوشية والأعلام من إعمال مدينة الفيوم لتوفير الأموال اللازمة لأمور التدريس وقسارية الوراقين (١٠٠) كما جعل ضيعته ((ببيج فرح)) إحدى إعمال مدينة الفيوم(١٠١)، من جملة الأوقاف التي خصصها لخانقاه سعيد السعداء(١٠٢)أما الملك العزيز عثمان فقد حبس ناحيتي سندبيس والحربة على زاوية الإمام الشافعي في الجامع العتيق في الفسطاط وحبس الأمير تقي الدين عمر بن شاهنشاه جزيرة الروضة في النيل على مدرسة التي أنشأها تلك المدينة وأوقفها على الطلبة الشافعية(١٠٣).

ب) الأوقاف الحكمية في مدينتي القاهرة والفسطاط: تحتوي على "ما حبس من الرباع على الحرمين وعلى الصدقات والأسرى وأنواع القرب"(١٠٤) ويُطلق على من يتولى النظر في ذلك النوع من الأوقاف ((ناظر الأوقاف))، وعادة ما تناط تلك المهمة بقاضي القضاة الشافعي الذي قد يوكل تلك المهمة الى احد ثوابه. وأحيانا تناط مهمة النظر في أوقاف الفسطاط بأحد نواب القاضي ، فيما تناط مهمة النظر في أوقاف القاهرة إلى أخر(١٠٥). ويبدو أن احباس مدينتي القاهرة والفسطاط كانت حينئذ من الكثرة والأهمية ما أستدعى من الجهات الإدارية تعيين شخصيات في غاية الكفاءة لمنصب ناظر الأوقاف لكل منها، فقد ولي الشيخ أبو حفص الاسكندري المعروف بابن المحلى ديوان الاحباس في الفسطاط وكان احد البارعين بالحساب حيث استمر بعمله حتى وفاته(١٠٦).

ج) الأوقاف الأهلية: وهي الأوقاف التي تناط مهمة إدارتها لناظر خاص يكون عادة من أولاد الواقف كما الحال بالنسبة للمدرسة الصاحبية(١٠٧) التي أنشأها الوزير الصاحب صفي الدين بن شكر(ت٦٢٢هـ)(١٠٨) في مدينة القاهرة حيث تولى أولاده من بعده مهمة إدارتها والنظر بأوقافها(١٠٩).

ويمكن إن تدار تلك الأوقاف من قبل الدولة أومن قبل قاضي القضاة مباشرةً، وتضم المدارس والمساجد والمشاهد ونحو ذلك(١١٠)وقد باشر الشيخ شهاب الدين بن الخيمي (ت٦٨٥هـ)(١١١)مهمة النظر بأوقاف مدرسة الامام الشافعي ومشهد الحسين(١١٢)وفي بعض الأحيان كان السلاطين الأيوبيين يسندون مهمة النظر بالأوقاف بأقسامها الثلاثة لشخصية مهمة كما حدث بالنسبة للفقيه والمحدث الاسكندري تاج الدين التنوخي(ت ٦٥٩ هـ/١٢٦٠م) (١١٣) الذي "ولي نظر الإسكندرية وجميع أمورها من الاحباس والجوامع والمدارس"(١١٤) .

وكان لكثرة الأوقاف التي أوقفها الملوك والأمراء والتجار وعامة الناس رجالاً ونساءً اثر مهم في ديمومة الكثير من معاهد التعليم واستمرار التدريس فيها، فقد كان للمرتبات التي تدفع لطلبة المدرستين الناصرية (١١٥)والقمحية في مدينة الفسطاط اثر مهم في استمرار الدراسة فيهما بالرغم من الخراب الذي أحاط بتلك المدرستين(١١٦).

ونجد إن المدرسة السيوفية التي أوقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٢هـ اثنين وثلاثين حانوتا بخط سويقة أمير الجيوش وباب الفتوح وحارة برجوان (١١٧)، ورتب السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى المدرسة الناصرية الأراضي والعقارات للإنفاق على مصاريف المدرسة ودفع مرتبات المدرسين والطلبة وأوقف لها إحدى القرى والصاغة التي كانت موجودة فيها (١١٨)،وهذا يدل على أهمية ومكانة هذه المدرسة .

وانشأ الملك الكامل الأيوبي المدرسة الكاملية سنة ٦١١هـ ورتب لها الريع الذي كان موجود في باب الخرنفش الذي يمتد إلى الدرب المقابل للجامع الأقمر وكان تصرف على المدرسة وأساتذتها وطلبتها وانشأ منازل سكن بها الطلبة والمدرسون وخزانة كتب خاصة بها (١١٩).

وفي سنة ٦٣٩هـ قام الملك الصالح نجم الدين أيوب ببناء المدرسة الصالحية من ثروته الخاصة ،وعندما تم بناء هذه المدرسة مد سماط حافلا بمختلف الأطعمة ،وسار على هذا العرف جميع السلاطين الأيوبيين عند الفراغ من بناء المدرسة واجر عليها من ريعها وقفا للإنفاق عليها (١٢٠)،ونتيجة هذا الاهتمام من قبل رجالات السلطة الحاكمة بإنشاء المدارس من ثرواتهم الخاصة قد دفع طائفة من رجال الدولة إلى إنشاء

المدارس من ثرواتهم الخاصة ومنهم القاضي الفاضل الذي قام بإنشاء المدرسة الفاضلية لتدريس المذهب المالكي والشافعي بالدرب ملوخيا ،وأوقف عليها مختلف الكتب وأمر بتوفير الأوقاف للمدرسة الخروبية (١٢١)، وأوقف خادم القصر شمس الدين الخواص سرور إلى المدرسة السرورية فندقا صغيرا (١٢٢)، ورتب تقي الدين عمر مجموعة من الأوقاف للإنفاق على هذه المدرسة ،ومنها الحمام والاصطبل الذي حوله إلى فندق عرف باسم فندق النخلة ،وأوقف جزيرة مصر التي اشتراها وعرفت بالروضة إلى المدرسة التقوية (١٢٣)،وانشأ الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهب الفائزي سنة ٦٣٦هـ المدرسة الفائزية التي أوقف عليها الحمام المجاور لها ومنزلان علو بعضها حوانيت وأسفل ذلك الفندق (١٢٤)،وانشات الأميرة عصمة الدجين مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل وأخت الملك الكامل المدرسة القطبية واشترت لها وقف خاصة لها(١٢٥) والمدرسة العاشورية التي انشاتها الست عاشوراء بنت ساروح الاسدي التي أوقفت عليها الأوقاف (١٢٦) ،وهذا يدل على اهتمام النساء بالتربية والتعليم فكان لها دور في النهضة العلمية التي شهدها العصر الأيوبي بغية التقرب إلى الله تعالى وعلى الأيتام من الطلبة المسلمين ،وأوقف فخر الدين أبو نصر إسماعيل الجعفري كل أملاكه إلى المدرسة الشريفية (١٢٧).

إن التمويل المالي للمؤسسات التربوية والتعليمة قد ساعد بشكل كبير في استقرار أحوال المدرسين والمعيدين والطلبة وهذا ما يذكره المقريزي في هذا الصدأ عن المدرسة السيوفية بقوله :" صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب على الحنفية، وقرّر في تدريسها الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الجبتي، ورتب له في كل شهر أحد عشر ديناراً،وباقي ريع الوقف يصرفه على ما يراه لطلبة الحنفية المقرّرين عنده على قدر طبقاتهم، وجعل النظر للجبتي، ومن بعده إلى من له النظر في أمور المسلمين"(١٢٨)

ويرى احد الباحثين إن الواقفين بعلمهم هذا استهدفوا حماية ممتلكاتهم ومصادر رزقهم مما قد يلحق بهم من مصادرة أو استصفاء من قبل السلطان أو إدارة الدولة ثم رغبتهم بتخليد أسمائهم في العمارة وذاكرة الناس من خلال إعمال البر والإحسان التي كانوا يشيدونها، فضلاً عن رغبة شرائح منهم لكسب الثواب(١٢٩).

وبالرغم من جميع التحوطات التي اتخذتها الواقفون، فأن الأوقاف التي كانت تحمل أسمائهم لم تكن بمنأى عن يد السلطان، فطالما تعرضت بعض الأوقاف إلى العديد من المحاولات التي استهدفت ضمها إلى بيت المال أو ترسيخها لمصلحة السلطان الخاصة، رغم الفشل الذي كانت تنتهي إليه بعض تلك المحاولات بسبب المقاومة التي كان يبديها متولو شؤون تلك الأوقاف، كما الحال بالنسبة للموقف الذي أبداه الشيخ شهاب الدين الطوسي (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م)(١٣٠) مدرس المدرسة التقوية (منازل العز) وناظر أوقافها عند تعرض السلطان الملك العادل سيف الدين ووزيره صفي الدين بن شكر للمدرسة من خلال جرد الأوقاف التابعة لها والتي أثارت حفيظة الشيخ الطوسي الذي أمر بضرب ممثل السلطان، ثم "رسم للوزير إن لا يتعرض لشيء يتعلق به، وخرج الوزير بحجته فلم يلتفت إليه"(١٣١).

وطيلة العصر الأيوبي بقيت أوقاف مدرسة ((منازل العز)) مطمعاً للسلاطين الأيوبيين ووزرائهم، إلى أن آلت السلطنة إلى الملك الصالح أيوب حيث أمر باستئجار جزيرة الروضة أحد أهم أوقاف المدرسة لمدة ستين

عاماً فقطع نخيلها ثم عمّر بها قلعة حصينة اسكن فيها ألف مملوك من مماليكه(١٣٢)على انه من المهم أن نذكر هنا أن غالبية أوقاف المدارس الأيوبية تعرضت للمصادرة أبان العصر الملوكي(١٣٣).

ولم تكن الأوقاف المصدر الوحيد لتمويل النشاط العلمي، فقد شكل المال مصدراً مهماً لتوفير الأموال اللازمة لتغطية جامكيات الطلبة ومدرسيهم ونفقات المؤسسات العلمية التي كانت تدفع منه بصورة مباشرة، وهناك الاقطاعات الخاصة التي كانت الدولة الأيوبية تمنحها لكبار العلماء ، فقد ذكر القاضي الفاضل في إحدى رسائله للسلطان صلاح الدين "أن أرزاق أرباب العمائم في دولته، إقطاعا وراتباً يتجاوز مائتي ألف دينار وربما وصل ثلاثمائة ألف"(١٣٤).

وفضلاً عما تقدم، فقد خصص الأيوبيون موارد مالية أخرى للنشاط العلمي كالزكاة ونحوها، فقد تقدم الحديث عن أن السلطان صلاح الدين زار الإسكندرية عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م وسمع الحديث من الحافظ السلفي والفقيه أبو طاهر بن عوف الذي أشار عليه بتخصيص صادر الفرنج(١٣٥)على فقهاء الإسكندرية، فاستجاب صلاح الدين لذلك وأمر بوقفه عليهم(١٣٦).

ويذكر المقريزي(١٣٧) أن الملك الكامل كان يخرج من زكاة الأموال التي كانت تُجبى من عامة الناس، سهمي الفقراء والمساكين ويعين مقدار ذلك شرعاً لمستحقيه، ثم يفرز منه رواتب للفقهاء والعلماء والصلحاء، وهو بذلك يكون أول من رتب معالم للعلماء من تلك الضريبة من سلاطين البيت الأيوبي.

وشكلت الهبات والأعطيات التي كان يقدمها ذوي اليسار للمشتغلين بالعلم سواءً كانوا طلبة أم المدرسين تشجيعاً لهم وعوناً على متطلبات الحياة ، شكلت احد مصادر تمويل النشاط العلمي البلاد ، وهي بذلك المحتوى تختلف تماماً عن الهبات والأعطيات الحكومية فقد كان للعلماء والفقهاء الميسورين إسهاماتهم الواضحة في مساعدة المشتغلين بالعلم من الفقراء والمعوزين، فمما يؤثر عن القاضي الفاضل أنه كان دائم الإعانة لطلبة العلم لاسيما الشافعية والمالكية منهم(١٣٨).

ويذكر القفطي(١٣٩)أن النحوي الشهير صالح بن عادي الانماطي أقام في مدينة قفط ما يقرب من خمسين عاماً يدرس في مدارسها ومساجدها بعد أن ضمن له أعيان المدينة كفايته من الرزق.

الخاتمة :

توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية منها:

١- إن مصر وصلت إلى ازهي العصور التاريخية في عهد الأيوبيين حيث ازدهرت فيها العلوم والأدب فضلا إلى الاهتمام بالمؤسسات التعليمية والتربوية .

٢- بينت الدراسة أن الاهتمام بالتربية والتعليم والإنفاق على المؤسسات التعليمية صفة بارزة في العصر الأيوبي والدليل على ذلك كثرة المدارس التي أنشت في العصر الأيوبي .

٣- احتل سلاطين الأيوبيين مكانة بارزة بين المسلمين في الاهتمام بالعلم والثقافة والتعليم ،حتى أصبح العصر الأيوبي سمة خاصة ميزته عن العصور الأخرى .

٤- انفق السلاطين الأيوبيين الأموال الطائلة في إنشاء والإنفاق على المدارس والكتاتيب والمكتبات ورعاية المدرسين والطلاب ،بغية توفير المناخ المناسب للقراءة والدراسة .

٥- حرص الأيوبيين في تخصيص الأوقاف للإنفاق على المكتبة وموظفوها من مصادر التمويل المتنوعة حتى يصل التعليم إلى جميع إفراد المجتمع المصري .

٦- ساهمت مصادر التمويل على استقرار أحوال المدرسين والطلبة وتوفير المناخ المناسب في العصر الأيوبي .

---

(١)البيمارستان كلمة فارسية تتألف من مقطعين هما ((بيمار)) وتعني مريض أو مصاب و ((ستان)) بمعنى دار، أي انها دار المرضى واختصر لفظهما فيما بعد الى ((مارستان)) وقد أطلقت تلك التسمية فيما بعد لتشمل دور علاج المجانين. انظر: ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٦٩٦؛ القلقشندي،صبح الاعشى -٣/ ٣٦٩.

(٢)محمد توفيق بلبع، المسجد والحياة في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، المجلد الحادي عشر، العدد الأول (مايس-حزيران، الكويت، ١٩٨٠م)،٢٢٠

(٣)المقريزي، الخطط، ٢٤٦/٢.

(٤)المقريزي، الخطط، ٢٧٤/٢.

(٥)المقريزي، الخطط، ٢٩٠/٢.

(٦)المقريزي، الخطط، ٢٩٣/٢.

(٧)المصدر نفسه، ٢٩٣/٢.

(٨)كان المشهد الحسيني من روعة التصميم وفخامة البناء ما أذهل الرحالة المغربي ابن جبير وجعله يقطع بأن ((لا ينبغي لعاقل أن يتصدى لوصفه لأنه يقف موقف التقصير والعجز .. فما اظن في الوجود مصنعاً أحفل منه ولا مرآى من البناء أعجب ولا ابدع.)) لمزيد من التفاصيل انظر: الرحلة،١٩.

(٩)محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي الشافعي،ويكنى بأبي عبد الله،ولد بغزة أو عسقلان (١٥٠هـ/ ٧٦٧م)ونشا فقيراً وقد حفظا الموطأ،ورحل إلى مالك بن انس،وسمع الموطأ عنه،ومن اشهر مؤلفاته كتاب إلام،ينظر،ابن خلكان،وفيات الاعيان،ج٤/ ص١٦٣.

(١٠)ابن جبير، الرحلة،٢٠.

(١١)ابن جبير، الرحلة،٢٠.

(١٢)الربط : أطلقت في بادئ الأمر على نوع من الثكنات العسكرية التي تبنى على الحدود قرب الثغور،والمرابطين في هذه الأمكنة للدفاع عن الإسلام وظيفة الربط قد تغيرت تدريجياً وخاصة بعد الاتجاه نحو الاستقرار وانقطاع الحروب تقريباً أواسط القرن الرابع الهجري ، وأصبحت تقدم خدمات اجتماعية ، وأصبحت معاهد علمية وثقافية لها أثر في تنمية الثقافة ونشرها في العالم الإسلامي ، وفي الربط كانت تتم الاجتماعات العامة للذكر الجماعي والسماع ولم تعدّ مقتصرة على العبادة والزهد ، وأصبحت أماكن تلقى فيها المحاضرات وتعطى فيها الإجازات،ينظر ابن منظور ،لسان العرب ،٣٠٣/٧ .

(١٣)ابو شامة، الروضتين، ١٣/١.

(١٤)المصدر نفسه، ١٤/١.

(١٥)المقريزي، السلوك، ، ٩٩/١.

(١٦)المصدر نفسه، ١، ٩٩/١.

(١٧)المصدر نفسه، ١، ٩٩/١.

(١٨)ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء،١٥٥.

(١٩)ابو شامة، الروضتين، ٣٩/٢

(٢٠)المقريزي، الخطط، ٣٧٠/٢

(٢١)الخطط،٣٧١.
(٤) انظر ترجمته ص١٣١ من الدراسة.

(٢٢)المقريزي، الخطط، ٣٧١/٢.

(٢٣)ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٣٤/١٢.

(٢٤)الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٠٤/٧؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٣٠٣/٤.

(٢٥)المنذري، التكملة، ٢٠٩/٢-٢١٠؛ ابو شامة، ذيل الروضتين،٩٣.

(٢٦)بن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب ، ١٥٣/٤

(٢٧)عُرِفَ عن الأديب والمؤرخ الشهير ياقوت الحموي كثرة تردده على مصر، وقد التقى بالأمير مرهف عامي (٦١١هـ و٦١٢هـ/١٢١٤و١٢١٥م) حيث ابتاع الأخير منه جملة من نفائس الكتب التي حملها معه الى مصر. لمزيد من التفاصيل، انظر: المنذري، التكملة، ٢١٠/٢.

(٢٨)المقريزي، الخطط، ٣٦٥/٢.

(٢٩)الصفدي، الوافي بالوفيات، ٦/٧.

(٣٠)المنذري، التكملة، ٧٣/٤.

(٣١)الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٤٤/٤.

(٣٢)ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء٥٦٣.

(٣٣)القفطي، إنباه الرواة، ١٨٧/٣؛ المقريزي، الخطط، ٣٦٧/٢.

(٣٤)حسن ، تاريخ الإسلام ، ٤٢٣/٤.

(٣٥)المقريزي، الخطط، ٤٣١/٢.

(٣٦)ابن بطوطة ، تُحفة النظار ،٢٧.

(٣٧)المقريزي، السلوك، ١٥٩/١.

(٣٨)المقريزي، الخطط، ٢٥٥/٢

(٣٩)المنذري، التكملة، ٤٢٢/٥؛ المقريزي، الخطط، ٢٥٦/٢.

(٤٠)الخطط، ٢٥٦/٢؛ ابن دقماق، الانتصار، ١/٤.

(٤١)المصدر نفسه، ١/٤..

(٤٢)المصدر نفسه، ١/٤..

(٤٣)المصدر نفسه. وفضلاً عن الزوايا الآنفة الذكر، كانت هناك زاويتان اختصتا بتدريس علم القراءات، الأولى هي الزاوية العلائية التي تنسب لعلاء الدين الضرير الذي أحجمت المصادر التاريخية عن ذكر أية معلومات عنه، وتقع بصحن الجامع. أما الزاوية الأخرى فتسمى بالزاوية الزينية التي رتبها الصاحب زين الدين الذي لا نعرف عنه هو الآخر أي معلومات، بل لم يذكر المقريزي حتى اسمه الكامل. أنظر: الخطط، ٢٥٦/٢.

(٤٤)المقريزي، الخطط، ٢٥٦/٢.

(٤٥)سعيد السعداء هو لقب كان يطلق على الأستاذ قنبر أو عنبر وهو أحد الأساتذة المحنكين في القصر الفاطمي. أنظر المقريزي، الخطط، ٤١٥/٢.

(٤٦)تاج الدين ابو النصر عبد الوهاب بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ/١٣٧١م)، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون (القاهرة: دار الكتاب العربي، بلا ت)،١٢٥.

(٤٧)يذكر السبكي ان بعض شيوخ الخوانق لم يقف عند حدود تلك التسمية ومدلولاتها فراح يضيف اليها من عبارات التفخيم والتبجيل كعبارة (شيخ شيوخ العارفين) مما أثار حفيظة بعض الفقهاء واستيائهم. انظر: معيد النعم،١٢٤.

(٤٨)المقريزي، الخطط، ٤١٥/٢.

(٤٩)الأسنوي، طبقات الشافعية، ١٧٦/٢.

(٥٠)التكملة، ١٦٥/٣.

(٥١)المنذري، التكملة، ٢٥٤/٣.

(٥٢)أحمد بن محمد التلمساني المقري (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الكتاب العربي، بلا ت)، ١٣٥/٣.

(٥٣)المقريزي، الخطط، ٣٦٧/٢-٣٦٨.

(٥٤)المنذري، التكملة، ٢٥٤/٣.

(٥٥)ابن الحاج، المدخل، ٩٧/٢.

(٥٦)الذهبي، تذكرة الحُفاظ، ٩٣/٤؛ وانظر كذلك: شلبي، تاريخ التربية،٧١.

(٥٧)ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء/٥٧٦.

(٥٨)جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم القفطي (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، إخبار الحكماء بأخبار الحكماء، ط٣، (بيروت: دار الآثار للطباعة والنشر، بلا ت)،١٦٧.

(٥٩)شلبي، تاريخ التربية،٦٣.

(٦٠)المقريزي، الخطط، ١٠٢/٢

(٦١)المصدر نفسه؛ وانظر ايضاً: بدوي، الحياة العقلية،٨٥-٨٦.

(٦٢)المصدر نفسه،٢١٠.
(٦٣)سورة الزمر،الآية ٩ .
(٦٤)الطوسي،التبيان في تفسير القرآن،٥٥٦/٨.

(٦٥)سورة المجادلة،الآية ١١ .
(٦٦)ابن كثير،تفسير القرآن العظيم،٣٤٧/٤
(٦٧)سورة فاطر،الآية ٨.
(٦٨)الجصاص،أحكام القرآن، ٤٨٩/٣.
(٦٩)ابن ماجة،السنن، ١/ ٨٢.
(٧٠)السنن،١/ ٨٩.
(٧١)العبادي،في تاريخ الايوبين ، ٩٤.
(٧٢)العبادي،في تاريخ الايوبين ، ٩٤.
(٧٣)الرمضان،تاريخ المدارس ،١٣٩.
(٧٤)عاشور،مصر والشام، ٨ .
(٧٥)السبكي،طبقات الشافعية ، ٢٨.
(٧٦)أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب الملك الناصر صلاح الدين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية واليمنية، الملقب بالملك الناصر : من أشهر ملوك الإسلام ،كان أبوه وأهله من قرية دوين ،ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،١٣٩/٧،الصفدي، الوفي بالوفيات ،٤٨/٢٩.
(٧٧)عبد الله (العاضد) بن يوسف بن الحافظ ، العلوي الفاطمي ، أبو محمد : آخر ملوك الدولة الفاطمية (العبيدية)بمصر والمغرب . بويع له بمصر سنة ٥٥٥ هـ ،الصفدي،الوافي بالوفيات ،٣٦٧/١٧؛السيوطي،تاريخ الخلفاء ،٥٥٧؛ الزركلي ، الإعلام،١٤٨/٤.
(٧٨)ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،١١٠/٩.
(٧٩)ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،١١٠/٩.
(٨٠)سليمان ، نعمان ، منهج صلاح الدين في الحكم والقيادة ، مطبعة الحسين الاسلامية ، القاهرة ،١٩٩١ ، ٢٣
(٨١)عاشور،مصر والشام،٨.
(٨٢)ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ١١٠/٩

(٨٣)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٠٦/٦.

(٨٤)المقريزي، السلوك، ٧٦/١.
(٨٥)عاشور،مصر والشام،٨.
(٨٦)صبرة،المدارس في العصر الأيوبي،٨٩.

(٨٧)انظر ترجمته ص١٨٦ من الدراسة.

(٨٨)ولفنسون، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته،١٩

(٨٩)عبد الملك بن محمد بن احمد الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة (ت ٥٩٤هـ/١١٩٧م)، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الوراثين، تحقيق عبد هادي التازي، ط٣ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧)/١١٣؛ وانظر ايضاً: محمد الحبيب بن الخوجة، يهود المغرب العربي (القاهرة: معهد الدراسات العربية، ١٩٧٣)/٢٩. وتحت وطأة الظروف ذاتها غادر الطبيب والرياضي المعروف يوسف بن يحيى (ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م)، المغرب واستقر بمصر حيث التقى هناك بابن ميمون ودرس عليه الطب مدة من الزمن فأصبح أحد الأطباء المرموقين. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول،٢٤٢-٢٤٣.

(٩٠)الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٣٧٣/٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية،١٨/١٣.

(٩١)تعد مدينة عيذاب نقطة انطلاق قوافل الحجاج بحراً الى جدة ثم مكة المكرمة فالمدينة المنورة، ثم العودة بالطريق ذاته، انظر: ابن جبير، الرحلة،٣٨-٣٩؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ٥١٢/١.

(٩٢)ابو شامة، ذيل الروضتين،١٨؛ بدوي، الحياة العقلية،١٩٣.

(٩٣)المصدر نفسه، ٢٤٠/٢؛ وانظر ايضا: بدوي، الحياة العقلية،١٩٣.
(٩٤)علي ،تاريخ التربية والتعليم في مصر ،١٨٦.
(٩٥)عاشور،مصر والشام،٨.
٩٦ المقريزي ، السلوك ، ٢٥٩/١
(٩٧)صبرة،المدارس في العصر الأيوبي،٨٩.
(٩٨)المقريزي، الخطط، ٢/ ٢٩٥-٢٩٦.
(٩٩)سميت بالقمحية لأن السلطان صلاح الدين اوقف عليها ضيعة الحنبوشية بمدينة الفيوم من ضمن الاوقاف الجليلة التي رصدت لها ، فكان القمح المتحصل من الضيعة يفرق على طلبة المدرسة واساتذتها لذلك أصبحت لا تعرف الا بالمدرسة القمحية، المقريزي، الخطط، ٢،/ ٣٦٤.
(١٠٠)النابلسي، تاريخ الفيوم وبلاده/٦٠؛ المقريزي، الخطط، ٢ /٣٦٠.
(١٠١)المقريزي، الخطط، ٢/ ٣٦٠؛ المقريزي، السلوك، ١/ ١٥٩.
(١٠٢)النابلسي، تاريخ الفيوم وبلاده،٦٠.
(١٠٣)المقريزي، الخطط، ٢/ ٣٦٠؛ المقريزي، السلوك، ١/ ١٥٩.
(١٠٤)المقريزي، الخطط، ٢/ ٢٩٥.
(١٠٥)المقريزي، الخطط، ٢/ ٢٩٥.
(١٠٦)المنذري، التكملة، ٦/ ٢٠٤.
(١٠٧)أنشت في مدينة القاهرة في موضع دار الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس، وجعلها وقفاً على الفقهاء المالكية انشأها الوزير الصاحب صفي الدين بن شكر (ت٦٢٢/١٢٢٥م)، وزير الملك العادل وفي عام ٦١٨هـ/١٢٢١م، المقريزي، الخطط، ٢ /٣٧١.
(١٠٨)صفي الدين بن شكرعبد الله بن علي بن الحسين بن عبد الخالق بن الحسين بن منصور الصاحب صفي الدين بن شكر، المصري الدميري المالكي.ولد سنة ٥٤٨هـ، وتوفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة، سمع من السلفي وجماعة، وحدث بدمشق ومصر، وروى عنه الزكي المنذري والشهاب القوصي،الكتبي ،فوات الوفيات،١٩٣/٢.
(١٠٩)المقريزي، الخطط، ٢/ ٢٩٦.
(١١٠)المقريزي، الخطط، ٢/ ٢٩٦.
(١١١)محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري، أبو عبد الله، شهاب الدين بن الخيمي.شاعر أديب، يماني الأصل، مولده ووفاته بالقاهرة،كان مقدماً على شعراء عصره، وشعره في الذروة، وكان مشاركاً في كثير من العلوم،الصفدي،الوافي بالوفيات،٩٠٢/٢؛الزركلي،الإعلام،٢٥٠/٦
(١١٢)الكتبي، فوات الوفيات، ٣/ ٤١٣.
(١١٣)هو تاج الدين ابو عبد الله محمد بن صالح بن محمد حمزة، الفقيه الشافعي في مدينة المحلة عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م، سافر الى دمشق طلباً للعلم فسمع من كبار فقهائها كابن طبرزد والكندي وابن الحرستاني، ثم انتصب لتدريس الحديث الشريف بثغر الاسكندرية مدة طويلة، توفي عام٦٥٩هـ/١٢٦٠م. الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٥٦/٣.
(١١٤)الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣/ ١٥٦.
(١١٥)حملت تلك المدرسة تسميات عديدة منها الناصرية او الصلاحية تميزاً لها عن المدرسة الناصرية التي اقامها صلاح الدين في مدينة الفسطاط، ثم درج الناس على تسميتها بمدرسة الإمام الشافعي. لمزيد من التفاصيل انظر:ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ٣٧٤-٣٧٥، ؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ٦/ ٥٦، السيوطي، حسن المحاضرة، ٢/ ١٥٧.
(١١٦)المقريزي، الخطط، ٣٦٤/٢.
(١١٧)المقريزي ، الخطط ،٣١٦/٣
(١١٨)المقريزي ، الخطط ، ٣١٥.
(١١٩)المقريزي ،الخطط ، ٣٣٥.
(١٢٠)المقريزي ،الخطط ، ٣٣٥.
(١٢١)عبد المعاطي ، التعليم في مصر زمن الايوبين ، ٦١
١٢٢ المقريزي ، الخطط ، ٣،٣٣٤
(١٢٣)صبره ، المدارس في العصر الايوبي ، ١٥٧ .
(١٢٤) المقريزي، الخطط ، ٣٢٢/٣
(١٢٥)نصر ، التعليم، ٣٧

(١٢٦)صبره ، المدارس ، ١٦٢
(١٢٧)صبره ، المدارس ،١٥٩
(١٢٨)الخطط ، ٣٦٥/٢
(١٢٩)غنيمة، تاريخ الجامعات،٧٨.
(١٣٠)هو شهاب الدين أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد الطوسي، شيخ الفقهاء الشافعية وعليه مدار الفتوى بمصر حينذاك، ولد بمدينة طوس عام ٥٢٢هـ/١١٢٨م، انتقل إلى بغداد حيث تفقه على جماعة من العلماء منهم محمد بن يحيى تلميذ الغزالي، سافر الى مصر الذي تولى التدريس بادئ الأمر بخانقاه سعيد السعداء ثم بمدرسة منازل العز التي بناها الامير تقي الدين عمر اكراماً له، توفي في ذي العقدة عام ٥٩٦هـ/١١٩٩م، الذهبي، العبر، ٢٩٤/٤؛ السبكي، طبقات الشافعية، ٥/ ١٨٥، ؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ٦/ ٢٥٩.
(١٣١)الاسنوي، طبقات الشافعية، ٢/ ١٧٦؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ٣/ ١٤٤.
(١٣٢)ابن دقماق، الانتصار، ٤/ ١١٠.
(١٣٣)المقريزي، الخطط، ٢/ ٣٦٤.
(١٣٤)ابو شامة، الروضتين، ١/ ٢٣٧.
(١٣٥)هي الضريبة التي كانت تفرض على التجار الفرنج الواردين على مدينة الاسكندرية ببضائعهم، ويذكر القلقشندي ان مقدارها في عصره أي القرن الثامن الهجري، كان ضمن قيمة البضائع التي يحملونها القلقشندي/بح الاعشى، ٤٦٣/٣.
(١٣٦)المقريزي، السلوك، ١/ ٨٦.
(١٣٧)الخطط، ٢/ ٧٨. الأسنوي، طبقات الشافعية، ٢/ ٢٨٤
(١٣٨) الأسنوي، طبقات الشافعية، ٢/ ٢٨٤.
(١٣٩)انباه الرواة، ٨٤/٢؛ السيوطي، بغية الوعاة، ٢/ ٩.

قائمة المصادر والمراجع.

القران الكريم

ابن الأثير،أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

- الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية،تحقيق: عبد القادر طليمات،(دار الكتب العلمية الحديثة،القاهرة،١٩٦٣م).
- الكامل في التاريخ،(دار صادر،بيروت،١٩٦٦م).

ابن أبي اصيبعة ، موفق الدين أبي العباس بن القاسم بن خليفة (ت٦٦٨هـ/١٢٨٩م) .

عيون الإنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : نزار رضا ، (منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥م) .

الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسين (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)

،طبقات الشافعية، تحقيق عبد الله الجبوري (بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧١م)

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٣٧م).

رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، (القاهرة،بلا مط، ١٩٣٨م).

ابن تغري بردي،أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،ط٢،(دار الكتب والوثائق القومية،القاهرة،٢٠٠٥ م).

ابن جبير، أبو الحسين محمد بن جبير الكناني، (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م).

رحلة ابن جبير، ط١، (بيروت، دار التراث، ١٩٦٨م).

الجصاص،أبو بكر أحمد بن علي الرازي،(ت٣٧٠هـ/٩٨٠م).

أحكام القرآن،تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين،ط١،(دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٤م).

ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري (ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م).

المدخل، (القاهرة: المطبعة المصرية بالأزهر، ١٩٢٩م).

الحنبلي، عز الدين ابو البركات أحمد بن إبراهيم بن نصر الله (ت ٨٧٦هـ/١٤٧١م).

شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد (بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٨٠م).

ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) .

وفيات الأعيان في إنباء أبناء أهل الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، (دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧م) .

ابن دقماق،ارم الدين إبراهيم بن محمد بن آيدمر العلائي (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٨م)

الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ط٢، (بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بلا ت).

الذهبي،شمس الدين محمد بن أحمد(ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) .

- تاريخ الإسلام،تحقيق: عمر عبد السلام تدمري،(دار الكتاب العربي،بيروت،١٩٨٧م) .
- سير أعلام النبلاء،تحقيق: مأمون صاغرجي وشعيب الأرناؤوط،ط ٩،(مؤسسة الرسالة،بيروت،١٩٩٣م) .

السبكي، تاج الدين ابو النصر عبد الوهاب بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ/١٣٧١م)

معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون (القاهرة، دار الكتاب العربي، بلا ت).

السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) .

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمود أبو الفضل إبراهيم، جزءان، (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤م).
- تاريخ الخلفاء،تحقيق: محمد تامر،ط١،(مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،٢٠٠٥م).
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، (القاهرة، مطبعة الموسوعات، بلا ت).

أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي، (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م).

الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط١ (بيروت، دار الجبل، بلا ت)

ابن صاحب الصلاة ،عبد الملك بن محمد بن احمد الباجي المعروف (ت ٥٩٤هـ/١١٩٧م).

المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الوراثين، تحقيق عبد هادي التازي، ط٣ (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧).

الصفدي،صلاح الدين خليل أيبك(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) .

الوافي بالوفيات،تحقيق: أحمد الأرناؤوط،وتركي مصطفى،(دار إحياء التراث العربي،بيروت،٢٠٠٠م).

ابن الفوطي،كمال الدين أبي الفضل عبد الرازق بن أحمد البغدادي(ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)

، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، الجزء تحقيق مصطفى جواد (دمشق،بلا مط، ١٩٦٢-١٩٦٥م).

ابن قاضي شهبة، أبو بكر احمد بن محمد بن عمر (ت٨٥١هـ/١٤٤٧م).

طبقات الشافعية، تحقيق عبد العليم خان، أربعة أجزاء (بيروت، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤٠٧هـ).

القفطي،جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ / ١٢٤٨م).

- إخبار الحكماء بأخبار الحكماء، ط٣، (بيروت، دار الآثار للطباعة والنشر، بلا ت)،
- انباة الرواة على انباة النحاة،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط١(المطبعة العصرية،بيروت،٢٠٠٤ م).

القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)

صبح الأعشى في صناعة الانشا ، (المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٥٥م) .

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

- البداية والنهاية، وقف على طبعه وتصحيحه محمد بيومي وآخرون، (المنصورة، مكتبة الايمان، بلا ت).
- تفسير القرآن العظيم،تقديم :يوسف عبد الرحمن المرعشلي،ط ٢،(دار المعرفة،بيروت،١٩٩٢م).

الكتبي،محمد بن أحمد بن شاكر(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق :علي بن محمد بن يعوض الله وأحمد عبد الموجود،ط١،(دار الكتب العلمية،بيروت،٢٠٠٠ م).

ابن ماجة،أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م).

السنن،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،(دار الفكر،بيروت،د.ت).

المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي أبي العباس (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) .

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، (بيروت ، لا . ت).

- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ستة أجزاء، ط٢ (القاهرة: دار الحكمة للطباعة والنشر، بلا ت).

المقري ، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م).

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت، دار الكتاب العربي، بلا ت).

المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، (النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٩٦٩م).

المراجع الثانوية .

بدوي، أحمد.

الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر وبلاد الشام (القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٢م).

حسن ،إبراهيم حسن.

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، ٤ أجزاء (القاهرة،مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٥م).

الزركلي،خير الدين .

الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،ط٥،(دار العلم للملايين،بيروت،١٩٨٠م).

سليمان ، نعمان .

منهج صلاح الدين في الحكم والقيادة ، (مطبعة الحسين الإسلامية ، القاهرة ،١٩٩١)

شلبي، أحمد.

تاريخ التربية الإسلامية، ط٣ (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦)

صبرة ،عفاف.

المدارس في العصر الأيوبي (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٢).

عبد العاطي، عبد الغني.

التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك(القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م)

عاشور، سعيد عبد الفتاح.

مصر وبلاد الشام في عصر الأيوبيين والمماليك (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٢م)

العبادي، احمد مختار.

في تاريخ الايوبين (دار النهضة العربية ١٩٩٥م).

علي، سعيد اسماعيل.

تاريخ التربية والتعليم في مصر (القاهرة، دار عالم الكتب، ١٩٨٥)

غنيمة، محمد عبد الرحيم.

تاريخ الجامعات الإسلامية (تطوان، دار الطباعة الغربية، ١٩٥٣م)

ولفنسون، اسرائيل.

موسى بن ميمون حياته ومصنفاته (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م).

المجلات الأكاديمية .

بلبع ،محمد توفيق ، المسجد والحياة في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، المجلد الحادي عشر، العدد الأول (مايس-حزيران، الكويت، ١٩٨٠م)